الأوضاع الاجتماعية في تلمسان إبّان العهد العثماني" 1518-1830 " :

الاحتفالات والممارسات الدينية -أنموذجا-

Social conditions in Tlemcen during the Ottoman era(1518-1830): Celebrations and religious practices as a model-.

ط.د رياض بن عراج[1]، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان (الجزائر)، riyad.benarradj@univ-tlemcen.dz.

تاريخ الاستلام: 2021/12/21	تاريخ القبول: 30 /2022/07	تاريخ النشر:2022/07/31

الملخص:

يهتم هذا المقال بتتبع بعض الجوانب الاجتماعية لمدينة تلمسان في العهد العثماني خاصة المتعلقة بالاحتفالات والممارسات الدينية، ومن بين الاحتفالات الاجتماعية الاحتفال بالأعياد الدينية شأن عيد الأضحى وعيد الفطر والاحتفال بالمولد النبوي الشريف، إضافة إلى الاحتفالات الشعبية مثل الزواج أو المولود الجديد، وحتى بالاحتفال بحلول السنة الجديدة. كما يهتم المقال بإبراز طرق الاحتفالات، والممارسات العقدية كإحياء ذكرى الأولياء الصالحين، وزيارة الأضرحة. مع تبيان مدى إسهام المجتمعات الوافدة إليها كالأتراك والموريسكيين في تطوير الثقافة الشعبية للمجتمع التلمساني. وهذا من خلال تتبع وتقصي المصادر المحلية والأجنبية خاصة كتب الرحالة التي كان لها إسهاما هاما في كتابة تاريخ المجتمع التلمساني، كونها إحدى المدن الرئيسية لبايلك الغرب الجزائري ومقصدا للعديد من الفئات الاجتماعية لأغراض ثقافية أو اقتصادية أو سياسية.

كلمات مفتاحية: تلمسان؛ المجتمع؛ العهد العثماني؛ الاحتفالات ؛ الممارسات الدينية .

Abstract:

The article discusses some of the social aspects of the city of Tlemcen in the Ottoman era, related to celebrations and religious practices. It emphasizes some social celebrations such as the celebrations of religious holidays like eid al-adha and eid al-fitr and the prophets birthdays. likewise, it studies popular celebrations related to marriage, the new born celebration and the new year . it highlights the ways people celebrated and practiced their rituals such as commemoration of the righteous saints "al awliya a-salihin " and visiting shrines. It also aims at demonstrating the extent to which the incoming communities such as Turks and Moriscos contributed to the development of the local culture of the Tlemcen community . For this , it depicts and investigates local and foreign sources, especially the travel books , which had an important contribution, to writing the history of the Tlemcen community . the latter is considered a principal city of the Algerian west province and a destination for many social groups for cultural, economic or political purposes.

Keywords: Tlemcen; society; the ottoman era; celebrations; religious practices.

[1] ط.د. رياض بن عراج riyad.benarradj@univ-tlemcen.dz .

مقدمة :

من المعروف أن المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني، قد أسال حبر العديد من الرحالة الأوروبيين، أو الأسرى المسيحيين، بحكم مكانتها السياسية والعسكرية، كما احتكوا بأهلها، وقيدوا لنا صفحات حول عاداتها وتقاليدها، التي تميزت عن جنسهم الأوروبي، فكان لهم بمثابة اكتشاف لنمط حياة جديدة بالنسبة لهم.

وفي سياق آخر، فقد تميز المجتمع التلمساني بعادات وتقاليد موروثة عبر الأجيال اتسمت في طياتها بالنوعية والخصوصية، ومما زاد المجتمع التلمساني تحضرا تلك الهجرات للمجتمعات الوافد من مشارق أوروبا ومغاربها، من بينها هجرة الموريسكيين بعد سقوط غرناطة سنة 1492م، والوجود العثماني. وبفضل اندماج هذه الفئة الجديدة ساهمت في تطوير الثقافة الشعبية للمجتمع من حيث الاحتفالات الاجتماعية والممارسات العقائدية، إذ شهدت امتدادا إلى يومنا هذا بفضل التمسك بهذه العادات والتقاليد التي توارثت من جيل إلى آخر.

يكتسي هذا الموضوع أهمية كبيرة في مجال البحث التاريخي لأنه يساهم في كتابة التاريخ الاجتماعي لمدينة تلمسان خلال الفترة الحديثة من خلال ذكر أجواء الاحتفالات سواء شعبية أو دينية وممارسة الطقوس العقائدية، وما يزيد الموضوع أهمية هو ذلك التنوع العرقي للمجتمع التلمساني وتراثه الشعبي المتميز عن المدن الجزائرية الأخرى، وهذا ما جعله قبلة للعديد من الباحثين والمؤرخين قصد التعرف والاكتشاف، والجذير بالذكر أن هذه المدينة أمدتنا بإنتاج علمي وفكري غزير في مختلف المجالات.

نسعى من خلال هذا البحث تحقيق جملة من الأهداف من بينها: تحليل الوضع الاجتماعي لمدينة تلمسان إبان العهد العثماني، ومدى إسهام الجاليات الوافدة في تطوير الثقافة الشعبية لهذا المجتمع. ومن تم ذكر أبرز الاحتفالات التي كانت متداولة بين عامة الناس، وتسليط الضوء على بعض الممارسات والمعتقدات الدينية.

انطلاقا من ذلك تتمحور إشكالية هذا البحث في معرفة طبيعة تلك العادات والتقاليد المتداولة بين المجتمع التلمساني إبان العهد العثماني، من حيث طريقة الاحتفال والممارسات والطقوس والتوقيت والعادات المتبعة في الأفراح والأقراح ...

قبل الخوض في ذلك لابد لنا من التعريج على بعض اللمحات التاريخية التي شاهدتها مدينة تلمسان قبيل وخلال العهد العثماني.

1) مدينة تلمسان بين الفترة الوسيطة وبدايات العهد العثماني:

تعتبر مدينة تلمسان من أقدم المدن الجزائرية، إذ مرت عليها العديد من الحضارات واتخذت عاصمة لدول من بينها دولة بني يفرن أو الدولة الزيانية، وقد اهتم حكامها بالتشييد العمراني لهذه المدينة[1] التي تميزت بموقع إستراتيجي هام باعتبارها الطريق الرابط بين فاس وتونس من جهة وبين البحر المتوسط والحواضر الصحراوية من جهة أخرى؛ إذ زارها العديد من الرحالة الأجانب ومن دول المغرب العربي، وحتى من بلاد المشرق. وخلدوا لنا مؤلفات عديدة تصف لنا هذه المدينة من كل الجوانب الاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية والجغرافية وحتى العمرانية أو السياسية العسكرية كون وصف مدينة تلمسان يمكن اعتباره مصدرا أساسيا لتدوين تاريخ هذه المدينة.

بين الحسن الوزان حدود مملكة تلمسان عشية الوجود العثماني، حيث قال ":..يحد مملكة تلمسان واد زا ونهر ملوية غربا والواد الكبير (الصومام) وصحراء نوميديا جنوبا وكانت هذه المدينة تحمل قيصرية عندما كانت خاضعة لسيطرة الرومان ،ثم آلت إلى ملوكها الأقدمين وهم بنو عبد الواد المنتمون إلى مغراوة ..." [2].

وللحقيقة والتاريخ أن مدينة تلمسان شهدت خلال مطلع القرن 16م اضطرابات سياسية، خاصة نزاع بني زيان على السلطة وموالاتهم للأسبان، والذي أدى بأهالي تلمسان إلى الاستنجاد بالإخوة بربروس، وبعد قبول الطلب أوفد إليها في سنة 1517م [3] وتم تنصيب السلطان الشرعي أبو زيان الثالث وخلع عمه أبي حمو موسى الثالث، فألتجئ هذا الأخير إلى

الإسبان المتواجدين بمدينة وهران لطلب يد المساعدة، إلا أن أبا زيان الثالث ثار عليه أهل تلمسان بسبب إهماله لمصالح الرعية و أراد التخلص من وجود عروج بمدينة تلمسان والجنود العثمانيين الذين كلفوا بضمان الأمن، إذ أغلط في معاملة أهل تلمسان مما أدى إلى غضبهم و تعصبهم والمطالبة برحيل أبي زيان ووقعت فتنة من جديد، أدت إلى اغتيال أبي زيان على يد عروج بالحوض الكبير وجملة من أمراء بني زيان وتم تنصيب نفسه كحاكم على مدينة تلمسان .

بعد استجابة حاكم وهران الإسباني لطلب أبي حمو موسى الثالث، تمت إعادته إلى منصبه سنة 1518م بمساعدة من حامية عسكرية إسبانية، وقد نتج عن هذه المعركة اغتيال إسحاق وإسكندر نواحي قلعة بني راشد ولقي عروج حتفه في واد المالح. وفي سنة 1554 م أنهى حاكم إيالة الجزائر صالح رايس حكم بني زيان وألحقت مدينة تلمسان بالحكم العثماني، بعد عزل الحاكم الصوري للمدينة و تنصيب القايد من العنصر التركي كحاكم لها [4] وكان من أبرزهم حفيظ التركي، والقايد صافا، ويوسف المسراتي ، وبن السوري التركي، وقارة باغلي[5].

والجذير بالذكر أن مدينة تلمسان خلال مطلع القرن 16 م بلغ عدد سكانها[6] حوالي ثلاثة عشر ألف دار (أي حوالي مائة ألف نسمة) بالإضافة إلى حارة تضم خمس مائة دارا لليهود[7]، كما شهدت إبان هذا القرن فئات اجتماعية جديدة على غرار الفئة الأصلية من العرب والبربر ونقصد بذلك الأتراك[8] والموريسكيين[9] و الكراغلة[10] و الأعلاج[11] والفئة البرانية حيث كان لهم دورا كبيرا في تنشيط الحياة الاجتماعية، من خلال نقل ثقافتهم وعاداتهم التي كان لها تأثير على المجتمع التلمساني[12].

وفي هذا المقام يصف لنا حمدان بن عثمان خوجة مستشار الداي حسين في كتابه المرآة مدينة تلمسان، ويقدم لنا شقا من الفن المعماري، ومدحا للمجتمع، [13] فيقول: "..وتلمسان هي إحدى المدن الرئيسية فيها مازالت تتحضن أوابد كبيرة ومآثر هندسية جميلة للغاية وقد كانت هذه المدينة في القرن السابع عاصمة للمقاطعة تأوي حكومة مستقلة وهي أقدم من المدينة الجزائر وسكانها الذين ينقسمون إلى صنفين الأتراك والعرب والأهالي وهم أشداء ذو خلقة حسنة عنيدون ومغرون يحبون المجد وهم شجعان ولكنهم طيبون وإجتماعيون..."[14].

2) الاحتفالات الدينية بتلمسان خلال الحكم العثماني:

تعتبر الأعياد الدينية من مميزات وسمات الحياة الاجتماعية والحضارية لمدينة تلمسان، والتي تهدف إلى تعزيز الروابط الاجتماعية وتجديدها، كما تعكس لنا الهوية الثقافية للمجتمع التلمساني خلال العهد العثماني[15]، وفي هذا العنصر نريد تسليط الضوء على بعض الاحتفالات كالاحتفال بالمولد النبوي الشريف، والاحتفال بحلول شهر رمضان، والاحتفال بعيدي الفطر والأضحى، والاحتفال بركب الحج.

وفي هذا السياق يجذر بنا التعرف على الاحتفال بالمولد النبوي الشريف بمدينة تلمسان، الذي يعود تاريخه إلى عهد حكم السلطان أبي حمو موسى الثاني 760هـ الموافق ل 1359م[16]، فقد تميز احتفال أهل تلمسان بإيقاد الشموع الملونة وتوزيع ماء الورد في الصلاة الكثيرة والهدايا المتنوعة، ومن عادة المجتمع أنهم يرتدون لباسا من الحرير الملون ويحملون بأيديهم المباخر ومرشات يخرج منها دخان العنبر، وفي المنشآت الدينية والعلمية يشرح لصغارها مغزى مولد النبوي الشريف[17].

في حقيقة الأمر أن هذه الاحتفالات قد تدوم خمسة عشر يوما وتبدأ المراسيم كل يوم بعد صلاة المغرب إلى حين وقت صلاة العشاء فيُعبر الناس خلالها عن محبتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم. ومن مظاهر الاحتفال عند النسوة، أنهن تجتمعن في بيوتهن ليرددن المدائح الدينية ويحضرن الحلوة التقنتة أو الطومينة[18]. بينما يتحلق الرجال في المساجد يقرؤون القصائد والمدائح الدينية.

ينظم الشعراء وأعلام الصوفية القصائد الشعرية في مديح الرسول صلى الله عليه وسلم والتي تنظم صباحا وتلقى أمام عامة الناس[19]، وفي مثل هذه المناسبات كان الباي محمد بن عثمان الكبير يستدعي فئة العلماء من كل الأقطار من

بينهم علماء تلمسان، ليثني عليهم بالهدايا والعطايا، وينظم معهم المجالس العلمية للمناظرة في أمور الشرع. ويقول في هذا المقام أحد كتابه ومستشاره أحمد بن سحنون الراشدي:"...والأعياد فإنه كان يعلم فيها أهل الوظائف كالخطباء والأئمة والمؤذنين والمدرسين .."[20].

كثيرة هي الأمثلة والنماذج التي تبين هذه الاحتفاليات التي أبرزتها مؤلفات المغرب الإسلامي في العصر الوسيط، ونجدها متواصلة في الفترة الحديثة، ويوحي ذلك حقيقة التشابه بين الاحتفال إبان الفترة الوسيطة والفترة الحديثة بالنسبة للمجتمع التلمساني.

ومن الاحتفالات أيضا، الاحتفال بحلول شهر رمضان الذي يعتبر من المناسبات الدينية الهامة للمجتمع التلمساني خلال العهد العثماني إذ هو شهر الرحمة والبركة والإيمان والمغفرة مصداقا لقول ربنا عز وجل "شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِلنَّاسِ وبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ" [21]. وقد بين الونشريسي كيف كانوا يعلنون عن حلول هذا الشهر حيث يقول:"إذ ثبتت الرؤية في إحدى القرى البادية يبادر القوم إلى إيقاد النار لإعلام القرى المجاورة برؤيته"[22]، كما يرى الرحالة الألماني شلوصر أن الأتراك كانوا يعلنون عنه عن طريق طلاقات طوبجية عند الإفطار، وعند السحور كذلك [23] إذ كان هذا الإعلان يتم نواحي الحوض الكبير سواء للإعلام عن شهر رمضان أو للإعلان بحلول العيدين وقد توارث هذا العمل إلى غاية الاحتلال الفرنسي للمدينة.

وفي هذا المقام، يروي لنا موريس فاغنر الألماني " Moritz Wagner " جملة من الأطعمة التي كان المجتمع يتناولها عند الإفطار، إضافة الى توضيح تلك الأمسيات والسهرات الليلية، فيقول في هذا الشأن :"... أما طعام الصائمين في الليل من الكسكسى بالزيت يضاف إليه اللحم المقلي والفواكه، وبعد الفطور ينصرفون إلى سماع الموسيقى طيلة شهر رمضان، ويتسلون بمشاهد الرقص والعروض المسرحية والهزلية المتنوعة كعروض القرقوز...."[24]،بالإضافة إلى الأكلات الأندلسية كالفداوش والدشيشية[25]، ولا يخفى علينا أن الصبيان الذين يصومون أول يوم كانت تمنح لهم الهدايا [26].

فضلا على ذلك، خلال شهر رمضان يتم قراءة "صحيح البخاري" الذي يحتوي على 7275 حديثا، ويختم في اليوم السادس والعشرين من شهر رمضان، وفي اليوم ذاته يجتمع الناس في المسجد بعد صلاة الظهر ويصلون على النبي في قراءة جماعية [27]، وعند إحياء ليلة القدر يقوم إمام المسجد الكبير بتوزيع الشموع على المصلين ويجوبون بها البلاد حيث تكثر التكبيرات والتهاليل والأذكار من خلال الصلاة على النبي وكذلك كثرة التسبيح والاستغفار خاصة عند حلول الليل، وفيما بعدها يزور الناس أولياء الله الصالحين لينتفعوا ببركاتهم [28] ، وفي أواخر الشهر يقوم الأغنياء بالصدقات على الفقراء والمساكين حسب ما ذكره دياغو دي هايدوا وهو يقصد بها زكاة الفطر[29].

وما يلفت الإنتباه أن تاريخ عادات وتقاليد التلمسانيين عند ختم القرآن الكريم لأبناء الحكام يعود الى الفترة الوسيطة، فيقومون باحتفالات تعبر عن فرحهم لهذا العمل الجليل، فيُمنح لأولادهم الهدايا أو تحضر الوليمة، وتُذبح فيها المواشي وتُخرج الصدقات، لأجل أن يبارك المولى تعالى لهذا الابن على حفظه لكتاب الله [30]، وقد ذكر ذلك يحي بن خلدون حيث قال :".. يجتمع الناس في دار الحاكم ويحشد فيها أصناف من المغنيين ويبتهجوا بالغناء «ذكر الأمداح النبوية" على أنواعه ويقدم لهم ألوان الطعام العديدة فكان هذا الاحتفال من الأيام المشهودة .."[31].

لا يختلف هذا عما ذكره الرحالة الإنجليزي توماس شو الذي زار مدينة تلمسان خلال الربع الأول من القرن 18م، الذي يصف لنا احتفال عائلة الابن عند ختمه للقرآن الكريم ، خصوصا عند تقدمه في الدراسة ومعرفة العلوم الدينية فيروي لنا بقوله :"..فعندما يصل الطفل إلى مرحلة التقدم في معرفة القرآن الذي يتعلمونه أولا فيتم تعليمهم الشعائر الدينية ...ويلاحظ أن الطفل له كفاءة معينة ومتقدم في الدراسة يعيش والديه بشكل رائع ويعلمونه ركوب الخيل بطريقة محكمة، ثم يأخذه أصدقاؤه في الشارع محتفلين بنجاحه ثم يقدموا لعائلته الهدايا ويسارعون إلى تهنئة الأب والأم"[32].

وبعد نهاية شهر رمضان يحتفل أهل تلمسان بعيد الفطر والذي يسمى بالتركية "بيرم الحلوة " فيرتدون في أيام العيد الثلاثة-خاصة الأطفال- أجمل ما لديهم من الثياب المطرزة بالذهب والفضة والسراويل المصنوعة من الصوف أو القطن وأما الرجال فيتغافرون مع عامة الناس ويرشون الأطفال بماء الورد تحية لهم [33]. كما تقوم النساء بإعداد أنواع من الحلوة كالهريسة والثريد و التقنتة[34] والزلابية والبقلاوة والمسمن .[35] وهي أكلات أندلسية الأصل أوفدها المسلمون الأندلسيون والموريسكيون إلى تلمسان، وهي تحضر في المناسبات والأفراح كونها من أهم الأكلات حضورا في أيام الاحتفالات والمناسبات الدينية[36] .

ولا يفوتنا أن ننوه، أنه كان من عادة المجتمع التلمساني قبل حلول عيد الأضحى لاسيما في اليوم التاسع من شهر ذي الحجة المعروف بيوم عرفة صيام هذا اليوم المبارك، فكان الكثير من الناس يصومونه.؛ حتى جاء في الأمثال العامة التي ذكرت في فضل صيامه: "ما يأكل عرفة غير كرافة ".

لعل ما يميز التقاليد التلمسانية هو اتباعها للالتزامات المالكية من خلال انتظار المضحين حتى يفرغ الامام من ذبح أضحيته ، فبعد الفراغ من الصلاة والخطبتين يذبح الإمام أضحيته بيده خارج الجامع الكبير عند الباب حيث يراه المصلون ومن تم يتبعون ذلك بقية العامة فيذهبون إلى ديارهم لذبح أضحيتهم، كما يقع التزاور والتعارف بين الأقارب أو العامة بعدها [37] ؛ وفي هذا الإطار وضح لنا العالم الألماني "جون هابنسترايت " أجواء هذا العيد إذ كان يتم فيه تناول اللحوم مع العائلة أو مع الأقارب [38] وذلك لمدة تدوم ثلاث أيام في المدينة وسبعة في القرى[39]. وفي المقابل يمكن التلميح إلى فئة الفقراء والمساكين التي تخرج في هذا العيد لطلب الصدقة.

وفي سياق آخر، وبالموازاة مع عيد الأضحى لابد لنا من الإشارة إلى ركب الحج حيث أن حجاج مدينة تلمسان ومنطقتها عموما-عند قصدهم للحرمين الشريفين- كانوا يجتمعون أمام المسجد الكبير ويخرجون من باب تلمسان، فيقومون بزيارة أولياء الله الصالحين، أمثال: "السنوسي" و "سيدي بومدين " ثم يصلون إلى مدينة الجزائر لأخذ إذن من الديوان[40] ، وعند عودتهم يزورون ضريح سيدي الداودي بن النصر ويصطحب الحاج بدويه وأقاربه للقيام بمراسيم الزيارة ويقضي ليلته تحت الضريح الذي تقام به حفلة، ممثلة في تلاوة القرآن وذكر الله وإطعام الفقراء والمساكين [41].

ربما لم تكن هذه ظاهرة التبرك بالأضرحة والمبيت بها عامة، لكن هناك سمة أخرى تميز الرسوم المفروضة حيث يشير محمد بن عبد الوهاب المكناسي إلى ذلك لما أحط رحاله بمدينة تلمسان سنة 1785م، وهذا بعد عودته من فريضة الحج، فقد رأى ما كانت عليه المدينة من سوء الأوضاع المعيشة، وغلائها حتى دفع بذلك حكامها الى استغلال متاع الحجيج فيقول في هذا الأمر:" ومن قله حياء حكام البلد وكثرة حرصه وإذاية العامة ، أن كل من يمر من حجاج بيت الله يقبض منهم شيئا معينا على أمتعتهم وحوائجهم من غير مبالاة جبر الله حال المسلمين...."[42]. وبالموازاة مع ذلك نستنتج أن مدينة تلمسان مثلت ممرا رئيسيا لطرق الحجيج ، أو حتى الطرق التجارية خلال العهد العثماني إن صح التعبير وذلك ما سيضيف عبر التواصل إلى وفادة تقاليد وعادات جديدة تضاف إلى الاحتفاليات المقامة أو إلى التأثر بهذه المراسيم التي قد تعمم في عموم بلاد المغرب العربي .

3) الاحتفالات الاجتماعية بتلمسان خلال الفترة العثمانية:

حظيت الاحتفالات الشعبية في مدينة تلمسان خلال العهد العثماني، باهتمام كبير يقف لها كل من أفراد المجتمع، ولها مظاهر احتفالية خاصة في كل مناسبة معبرين عن فرحهم، وسعادتهم. ومن بين هذه المراسيم الاحتفال برأس السنة الأمازيغية، والاحتفالات العائلية، كالزواج، والختان، وحتى الاحتفال بالمولود الجديد، حيث أمكن لنا أن تعرف على الطقوس والاحتفالات الشعبية التي سادت المجتمع التلمساني خلال العهد العثماني[43] .

بطبيعة الحال يحتفل أهل تلمسان خاصة سكان قبيلة بني سنوس[44] في تاريخ الرابع عشر من شهر يناير وهو بداية رأس السنة الجديدة (الأمازيغية) فتتراوح مدة الحفل ما بين أربعة أيام إلى سبعة أيام ، وتعمل النساء صباحا على

تحضير السفنج والثريد وزيت الزيتون وتصنع من التين الجاف والرمان والبرتقال والجوز أكليل يضاف إليه خبز يسميه أهل المنطقة "تجعوث" مع تحضير التقنتة، ويطهوا النساء الكسكس مع لحم الدجاج كغداء سواء في الفطور أو في العشاء وتحضير الخبز المصنوع بالبيض ، والقمح بدل الشعير.[45]

كما يقوم الأطفال ببعض الألعاب البهلوانية دلالة على الفرح بدخول هذه السنة الزراعية الجديدة تفاؤلا بالخير والبركة [46]،كما أشارت بعض الكتابات التاريخية لهذا الحفل في منطقة بني سنوس بتلمسان، أنهم يفتتحون أهلها للعام الجديد منذ الصباح الباكر بجلب الخضرة إلى المنزل من الدوم وأغصان الدفلى حيث أن لونها شديد الخضرة.

وتحضر النسوة السفنج؛ فإذا خمرت العجينة حتى فاضت من أطراف الأواني التي تحتويها فإن ذلك علامة على خصوبة السنة الجديدة وتظهر الفرحة على وجوههن، كما تذبح دجاجة لكل من أفراد العائلة [47]، وللحقيقة والتاريخ أن هذه الأجواء تنطبق على سائر أنحاء المدينة، وما يحتفل به أهل الريف، لا يختلف تماما عما يحتفل به أهل المدينة.

وفي الموضوع ذاته، يذكر صاحب الرحلة القمرية مصطفى بن زرفة الدحاوي كاتب ومستشار الباي محمد الكبير أن السكان كانوا يحتفلون بالناير في مطلع كل السنة العجمية، فسكان المدن يحتفلون بالناير تبركا وتوسعة على الأهل والعيال ويحضرون لهذه المناسبة كل ما توفر لديهم من الثمار كالتين والجوز والزبيب والتمر واللحم، أما أهل الريف فيعدون لهذا اليوم اللحم السمين والفول المسلوق والتين، وقد تتحول هذه المناسبة الى ظاهرة علمية [48].

ومن الاحتفالات الشعبية للمجتمع التلمساني أيضا، الاحتفال بالزواج الذي يميزه أجواء احتفالية مميزة وخاصة، إذ يعتبر من بين أهم النظم الاجتماعية وأساس تكوين الأسرة والمجتمع، من خلال تنشئة الأفراد تحت سقف الرابطة الشرعية بين الجنسين والأمثال للمعايير الاجتماعية والدينية، وعليه يكون الزواج أصل الأسرة وجوهر تكوينها ، فلا يمكن لأي علاقة بين الرجل والمرأة أن تصل إلى قداسة الزواج ما دامت هذه العلاقة لم تخضع لمبادئ وقوانين المجتمع ولهذا فإن الزواج هو الوسيلة الوحيدة التي تنظم حياة الفرد.[49]

ومن شروط الزواج الخطبة، وعليها يتقدم الرجل إلى أهل المرأة قاصدا الزواج من البنت والأمر الثاني وهو العقد ويتم بموافقة القاضي بعد موافقة الأب، ووجود شاهدين، وموافقة البنت والولد وتحديد الصداق ثم يدعوا الخاطب إلى قراءة الفاتحة بالمسجد[50] ،والأمر الثالث وهو الصداق الذي هو مقدار من المال أو المتاع يقدمه الرجل للمرأة كما قال ربنا عز وجل في سورة النساء الآية رقم أربعة: "*وَآتُواْ النِّسَاء صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا* "[51].

أما مظاهر الاحتفال في تلمسان فقد ذكر الحسن الوزان أن عادات وتقاليد أهل فاس تشبه أهل عادات أهل تلمسان، وما بينه خلال القرن 16م، فهو نفس الاحتفال الذي يعيشه المجتمع التلمساني في الفترة المعاصرة، أو الفترة الراهنة إن صح التعبير، ويقول في هذا الجانب أن إذا ما تم العقد بالثقة ورضا الطرفين، استدعى الخاطب من أهل الطرفين لتناول طعام الغداء معه، ويقدم لهم الفطائر والمشوي والعسل كما يستدعي أبو المخطوبة من جهة أصحابه لتناول الطعام معه[52].

ومن التقاليد الموجودة والتي قد تكون ذات أصل أندلسي أنه عندما يذهب الزوج ليأخذ زوجته إلى منزله يدخلها أولا في صندوق من الخشب مثمن الأضلاع ويقصد به العمارية ومغطي بثياب جميلة من الحرير والديباج ويحمل الحاملون على رؤوسهم ويتكون الموكب من أصدقاء أبوي الزوجة والزوج مع المزامير والأبواق والطبول وحملة المشاعل العديدة، يتقدم الموكب أصدقاء العروس حاملين مشاعلهم وتتبع الزوجة أصدقاء والدها [53].

وبعد أن يقدم أهل الزوج الطعام إلى هذه المرأة تذهب مع النساء الأخريات لمقابلة أم العروس، فتستقبل بحفاوة ويقدم لها الطعام مرة أخرى، وهنا تقام ثلاثة ولائم في حفل الزفاف الأولى ليلة الزفاف والثانية في الليلة التالية ولا يستدعي بها غير النساء، وأما الحفلة الثالثة فتكون بعد أسبوع ويحضرها أبو الزوجة وأمها وجميع أقاربها، ومن عادة أن

يبعث أبو الزوجة في ذلك اليوم بهدايا هامة إلى دار الزوج تتكون من حلويات وخرفان كاملة ويخرج العريس من بيته بعد سبعة أيام .[54]

فضلا عن الولائم الثلاث التي تكون في بيت الزوج تقام كذلك وليمتان في بيت الزوجة: الأولى في الليلة السابعة ليوم زفاف الزوجة إلى زوجها ويدعوا إليها الأب أصدقاء الأسرة، ويستمر الفرح والرقص طوال الليل. وفي اليوم التالي تأتي النساء المتخصصات في تجميل العرائس، فيمشطن شعرهن ويزين خدودهن بالحمرة ويزين أيديهم وأرجلهن بالسواد مع رسوم جميلة من خلال وضع الحنة. وفي هذا اليوم تكون الوليمة الثانية فتوضع العروس فوق المنصة ليشاهدها الجميع ويقدم الطعام لسيدات اللواتي قمن بتجميلها [55].

وعندما تصل العروس إلى بيت زوجها يرسل إليه أصدقائه الحميميون أوعية كبيرة ملونة بالفطائر وأخرى مثلها عسلا، وخرفانا مشوية فيدعوا العريس عددا من الناس يوزع عليهم الهدايا، ويستمر الرقص طوال الليل على أنغام الموسيقيين والمنشدين، ويتناوب الغناء والعزف في نحو مئة من الألحان العذبة اللطيفة[56].

فكل مرة يرقص واحد منهم، وإذا إنتهى من رقصه أخرج من جيبه قطعة نقود ورمي بها على بساط المغنيين وإذا أراد أحد الأصدقاء أن يكرم الراقص دعاه ليلصق على وجهه نقاط قطعا من النقود ينزعها المغنيون بعد ذلك فورا، كما ترقص النساء بمعزل عن الرجال ولهن حفلاتهن الراقصة ومغنياتهن وعازفاتهن [57].

كل شيء يجري هكذا إذا كانت العروس عذراء، فإذا سبق لها الزواج كانت حفلة الرقص أقل أبهة وتقضي في هذا الحال إن يأكلوا لحوم البقر والغنم، والدجاج المطبوخ المضاف إليه مختصر الخضر توضع أمام المدعوين أثنتا عشر قطعة كبيرة فوق مائدة كبيرة مستديرة من الخشب يكفي طعامها عشر أو أثنتا عشر شخصا.

تلك هي عادات الأعيان والتجار، أمام وجبة الطعام لعامة الناس فيقدم فيها الثريد مصنوع من الخبز الخفيف يشبه الشرائط ويغمس في المرق لحم مقطع قطعا كبيرة، كما يقدم الثريد في إناء كبير تسبح فيه قطع اللحم، ويأكلوا المدعوون بأيديهم دون ملاعق بمعدل عشر أشخاص حول كل إناء [58] .

كما أن اللباس الأساسي للزوجين في يوم الزفاف هو القفطان، إذ يروى لنا جورج مارسي" Georges Marcy" أن القفطان إسم تركي أتي من الفرس أي خفتان، جاء من المشرق إلى الجزائر كملابس ذكورية، وأنثوية، استخدمه كلا الجنسين كان سيتبناه أهل بلاد المغرب هذا القفطان، يتم خياطة جميع أكمامه من الذهب أو الفضة ويضاف إليه شرائط من الحرير وهي الضفائر وهذه الزخرفة هي ما تجعل ثمنه باهظا[59]،كما أن القفطان[60] هو مفتوح كامل من الأمام وله سروال خاص يصل إلى منتصف الركبتين [61]. ويرتدي كذلك العريس فوقه البرنوس ويحمله على كتفه ويغطي به كل جسمه، والبرنوس نوع من المعطف له شكل دائري يلصق في وفي وسط القلمون هو وسيلة للوقاية من المطر والبرنوس الذي يلبس في فصل الشتاء ويحمل الأسفار له نفس الشكل ولكنه ينسج من خيوط أمتن يقي من المطر ويكون له لون الأسود[62].

أما العروس كانت ترتدي لباس يسمى "الشدة" هو عبارة عن لباس للمرأة التلمسانية وهو فاخر مكلل بالحلي والمجوهرات ترتديه العروس يوم زفافها وقد تميزت به مدينة تلمسان بصفة خاصة والغرب الجزائري بصفة عامة وهو اللباس الذي ظل معروفا إلى يومنا هذا [63].

وفي هذا الحفل تحضر الموسيقى على أنواعها وأشكالها، كالموسيقى الأندلسية[64] ، إذا كان الزفاف عند أسرة موريسكية، وكذلك الموسيقى التركية عند حفلات الأسر التركية أو الكرغلية، والموسيقى البدوية في زفاف سكان الأرياف[65]. ولا يفوتنا الأمر في هذا المقام أن ننوه بمدة الاحتفال بالزواج، فقد كان يدوم أكثر من سبعة أيام بالنسبة للطبقة البرجوازية عند المجتمع التلمساني كالأتراك، أو الكراغلة أو الأندلسيين، أما الطبقة المتوسطة أو الفقيرة فقد تكون أيام الاحتفال لا تتعدى يومين على أكثر[66].

بين لنا ابن حمادوش في رحلته على أن مهر المرأة كان ينقسم إما مقدم أو مؤخر يدفع بعد مدة من الزواج وقد أورد مثالا قدره بألف وواحد ومائتا دينار خمسيني يدفع لرقية بن محمد المقري، الذي تنتسب إلى أسرة المقري التلمسانية وهذا المبلغ كبير جدا، وما يرافقه من قفطانان اثنان، أحدهما من الوبر، والآخر من أطلس، وأربعة أواق جوهرا، وأربعة أفراد ستيني (أي الأساور) ، وأمتان من رقيق السودان، وأربعة قناطير صوف، ومن هنا نثبت أن مبلغ المهر كان يصل إلى بضع وألف، ويصل أدناه إلى أربع دنانير ، إضافة الى أشياء أخرى من الألبسة والحلي بالنسبة للعائلات الفقيرة.[67]

كما ذكر لنا عبد الرزاق بن حمادوش انموذجا لعقد زواج لأسرة أندلسية، حيث استنتجنا منها بعض المغالاة في مبلغ مهورهن، وهذا ما نجده اليوم عند الأسر التلمسانية من لدن مدن بايليك الغرب الأخرى، فإن دل هذا على غلاء المهر، فإنه يدل على أن المدينة ما هي إلا إحدى المحطات الكبرى لوفود الاندلسيين والموريسكيين[68].

ولعل من تقاليد المولود الجديد وحتى ختانه، أنه بعد أن يرزقا الزوجين بمولود جديد يؤذن له في أذنه اليمنى، وبعد ذلك تقام له أجواء احتفالية. وحتى في يوم ختانه فيأتي الأقارب ليباركون للمرأة فتقدم لها الهدايا أو بعض الأموال، ويدعون الله أن يكون الطفل من أهل الخير والفلاح ،[69]كما ذكر الحسن الوزان عن يوم الختان فقال :"..ويكون ذلك في اليوم السابع بعد ولادته ،يستدعي الأب في ذلك اليوم أصدقائه والحلاق فيطعمهم وعندما ينتهي الأكل يقدم كل واحد من المدعوين هدية الحلاق ،مثقالا أو مثقالي أو أكثر أو أقل حسب مستواه فيلصقها على وجه غلام الحلاق الذي يذكر إسم المتبرع ويشكره ،وبعد ذلك يقوم الحلاق بختان الطفل وتقام في الأخير حفلة يرقصون فيها على نحو ما ذكر أنفا و إذا كان المولود أنثى قل إستشارهم بها..." [70] .

4) الممارسات الدينية :

من الواضح أن المجتمع التلمساني يسوده حركة دينية مؤطرة للحياة الاجتماعية تدعى التصوف، هذه الحركة عملت منذ زمن على إقرار ممارسة دينية لا تلتزم بالضرورة بالمعايير الشكلية للدين الإسلامي ، والتي انتظمت منذ القرن 16م في شكل طرق صوفية يتغلب دوره الدنيوي على البعد الروحي [71].

ومع هذا كان للحركة الصوفية مكانة مرموقة على مستوى المدينة خصوصا في الحياة الاجتماعية، وحتى الثقافية أو السياسية والعسكرية، إذ بزغ نجمها في تقديم يد المساعدة، وتولي أمور الجهاد، وما يرافقها من ممارسات اعتقادية دينية متعلقة بزيارة الولي الصالح وإحياء ذكراها، أو كما تسمى بالوعدة ومن أبرز أعمال المرابطين نذكر منها ما يلي:

*تقديم مساعدات مالية ومادية للمحتاجين.

*إقامة صدقات سنوية وهو ما يعرف بالوعدة[72].

*ضمان السلم الاجتماعي والإصلاح بين الناس، وفي هذا الجانب نضرب مثال عن المرابط سيد العبدلي الذي اتخذ الوسطية بين التأييد والمعارضة للوجود العثماني، كونه همزة وصل بين أهالي تلمسان وقائدها، يهدف الى الإصلاح والسلم، في حالة نشوب ثورات بين حكام الأتراك وأهالي المدينة [73].

والحقيقة أن الرحالة المغربي المعروف بالبطوئي الذي زار المدينة ما بين أواخر القرن 16م وبداية القرن 17م، قد ذكر لنا جملة من علماء الصوفية لمدينة تلمسان خلال القرن 16م و 17م، وهم الذين احتكا بهم وأخذ عنهم علوم التصوف ، أبرزهم ابن مريم المديوني الذي وفد إليه بمدينة الحناية، والعالم الجليل سعيد المقري[74]، ومن هنا نستنتج أن مدينة تلمسان إبان العهد العثماني، قد ذاع صيتها في هذا العلم، إذ اتخذت مقصدا للعديد من العلماء والصوفية سواء من بلاد المشرق أو من بلاد المغرب الأقصى، وهذا ما أكده الورثلاني في رحلته لمدينة تلمسان التي قال عنها بلاد الجدار ، إذ زار العديد من الأضرحة للأولياء والصالحين كأبي مدين شعيب الغوث والسنوسي، والعقبانيين ، وابن زكري، وابن مرزوق[75] .

ومن هذا المنطلق، فيما يخص عادات زيارة أضرحة الأولياء، فقد شاعت في كل القرى والمدن التلمسانية، خصوصا عند النسوة على اختلاف طبقاتها الاجتماعية، فكانت تعتقد أنه في مقدرة الوالي الصالح في تحقيق رغباتهن وحاجاتهن يتقربن إليهم بمختلف الوسائل لنيل بركاتهم ، أو لشفاء المريض من علّته، إذ كانت تزار بشكل كثير، بالخصوص يوم الجمعة بعد صلاة الظهر ، وأيام العيدين [76].

وتماشيا مع ما تم ذكره، أشار الجغرافيون إلى وجود رباط بمدينة ندرومة وهو ما يؤكد مكانتها الدينية ، حيث يقول صاحب الإستبصار :"...و بها رباط حسن مقصود يتبرك فيه إذ سرق أحد فيه أو أتى بفاحشة لم يتأخر عقوبته، قد تعارفه ذلك من بركته وحسن الله فيه [77]، قد سادت في أذهان أفراد المجتمع عدة أفكار سرت فيهم بالتدريج وتوارثها عليهم أبنائها من بعدهم ومنها التبرك بأولياء الله الصالحين الذي وجدوا فيه ملاذ للمس البركة والخير والتأويل إلى الله على أضرحتهم التي خلدت كأبنية عمرانية وكالشخصيات تعلقت بها أنفسهم التي جلبت على حياة الزهد والنقاوة والنفور من كل ملذات الحياة التي قد تؤدي لذوي أنفس الضعيفة إلى انغماس في الشهوات والهلاك في آخرة ونظرا لانتشار هذه الاعتقادات فقد كانت كل مدينة تحتمي بولي صالح من العين والغارات ومن النكبات الطبيعية مثل سيدي أبو مدين شعيب فهو السور حرمها[78].

كما كانت الجماعات الحرفية تقيم احتفالات سنوية تسمى بالوعدة[79] كإحياء ذكرى للولي الصالح حامي المدينة في اعتقادها ويقام عيده السنوي الذي يشارك فيه أعضاء بحضور الكبير ، ولم تقتصر تلك الممارسات على الجماعات الحرفية فحسب بل تعد ذلك إلى طائفة الرياس البحر فقد كانوا لا ينطلقون في غزواتهم البحرية إلا بعد زيارة الأضرحة تبركا بالأولياء والصالحين، وحتى الحجيج عند قصدهم للحرمين الشريفين [80]. وتنصب الوعدة في كل أنحاء مدينة تلمسان خاصة وعدة الولي الصالح سيدي يحي بن صفية في جنوب مدينة تلمسان[81]، الذي ينتمي الى أسرة علمية وجهادية، وصاحب الزاوية المتواجدة بالقرية التي سميت بإسمه "قرية سيدي يحي " التي نشرت العلوم، وحرصت على التعليم في زمن شهدت فيه اضطرابات سياسية وعسكرية بالمدينة[82].

ويُحضر لها العامة من كل النواحي بحكم ما يجري بها من عادات وأكلات؛ حيث يرافقها ألعاب الفروسية أو ما تسمى بالفنتازيا التي يتم فيها تسابق الخيلة مع طلقات البارود وهي عادة قديمة شهدها التلمسانيون منذ الفترة الوسيطة، إذ تعتبر رمزا تاريخيا وتراثيا، وأكثر حضورا في الاحتفالات[83] ، كما تُوزع فيها الأطعمة على أنواعها وأشكالها أمثال، الكسكس والتمور والحلويات التركية كالبقلاوة والحلقوم أو أصابع العروس [84]والبوسكوتشو والسفنج والبخاية الموريسكية [85] .

تدوم هذه الاحتفالات أياما معينة، تحضّر في موسم دخول فصل الخريف لأجل حلول هذا الفصل بالخير والبركة، ويعود تاريخ هذه العادة إلى الموريكسيين الذين هاجروا إلى مدينة تلمسان بعد سقوط غرناطة عام 1492م[86] .ويمكن القول بأن الوعدة سلوك مرتبط بالتراث الشعبي وعادة عرفها المجتمع التلمساني خلال الفترة الحديثة تم توارثه عبر الأجيال، وعرف انتشارا واسعا خصوصا في الأحياء المدينة، أو القرى، أو المداشر.

في المقابل فقد كان للمجتمع التلمساني عادات خاصة في الجنائز فإذا مات أحدهم يقومون بحداد لمدة معينة، تخرج فيها الصدقات وتؤتي الناس لتقديم العزاء؛ فقد بين الحسن الوزان حالة الحزن عند عامة الناس حيث قال :"...يدوم ذلك سبعة أيام وبعد أربعين يوم يستأنفن نحيبهن لمدة ثلاث أيام تلك هي عادة العامة ....وأما الأعيان فحزنهم أخف يبكون موتاهم دون ندب ولا خدش ويحضر أصدقاؤهم لتقديم التعازي ،ويأتيهم الطعام من جميع الأقارب كهدية، لأنهم لا يطبخون أي طعام مادام الميت في الدار ،ولا تسير النساء في موكب الجنازة ولو كان الميت أبا لهن أو أخا.." [87].

أما طريقة الدفن فيقول جيمس ويلسون ستيفن " Jammes Wilson Stephen " الأسير الأمريكي في الجزائر خلال العهد العثماني:" ..وبعد وفاة الرجل فإن أصدقائه من الرجال يحضرونه .....فيغسل جسم الميت بالماء الساخن وبرغوة

الصابون ويلف في الكتان النظيف ،ثم يوضع بعدئذ في تابوت مغطى بثوب أخضر يلف بالعمامة وينتقل ورأسه إلى أمام في اتجاه القبر تحضر النساء اللواتي يأجرن لندب والعويل وتقوم هذه النساء بخدش أنفسهن حتى يخرج الدم من وجوههن .. وبعد إتمام عملية الدفن يقوم أحد المرابطين بتلاوة هذه الكلمات من غير إقطاع لا إله إلا الله محمد رسول الله...." [88].

الخاتمة :

وقبل أن نطوي صفحاتنا عن ذكر بعض العادات وتقاليد المجتمع التلمساني إبّان العهد العثماني، توصلنا إلى جملة من النتائج أهمها:

- أن للعادات والتقاليد تأثيرا واضحا على ثقافة المجتمع التلمساني وهي مصدر يستمد منه مثله وآدابه، التي توارثها عبر أجيال، باعتبارها أحد سمات كل المجتمعات الإنسانية ولا يمكن للفرد والمجتمع أن يتجرد عن هذه العادات والأعراف كونها تعزيزا للروابط الاجتماعية بين الأفراد.
- كذلك أن الاحتفالات والطقوس الدينية لم تدخل عليها بعض تغييرات، بل بقيت على سابق عهدها وهي وليدة الفترة الوسيطة التي توارث أبا عن جد.
- ومن خلال دراستنا لمظاهر الحياة الاجتماعية للمدينة تبادر لنا أن هناك تنوع في العادات والتقاليد للمجتمع التلمساني، وهذا راجع إلى تعدد الأجناس بين أوساط مجتمع مدينة تلمسان .
- تأثير الفئة الوافدة كالأتراك والموريسكيين على المجتمع التلمساني بفضل المصاهرة أو المجاورة، وهذا ما نتج عنه ظهور نوع جديد من الألبسة أو الأطعمة والموسيقى.
- بروز دور بايات وهران في الاحتفالات الدينية أمثال الباي محمد الكبير ودوره في استقطاب فئة العلماء والأساتذة في أيام الأفراح والمناسبات الدينية ومنحهم الهدايا والأموال .
- تمسك أهل تلمسان بالأولياء والصالحين والتبرك بأضرحتهم خصوصا ضريح أبي مدين شعيب التلمساني وضريح عبد الله بن منصور بعين الحوت، واتخاذهم القدوة وحماة المدينة في جميع أمورهم الضرورية، سواء الحربية أو الصحية ومن البايات الذين اهتموا بالأولياء والصالحين الباي إبراهيم المليانى والباي محمد بن عثمان الكبير .
- مزاحمة أهل الذمة كذلك في بعض الاحتفالات، أمثال اليهود الذين شاركوا السكان المحليين في الاحتفال خصوصا عند الانتصارات في الحروب، كالانتصار في حملة شار لكان على مدينة الجزائر سنة 1541م، وبالإضافة الى هذا زياراتهم لضريح عنقاوة الوافد من الأندلس، مرة كل سنة، وهي بمثابة تأدية الحج بالنسبة لهم، فتقام طقوس احتفالية خاصة بهم ، كما لا ننفي حقيقة طريقة الزواج عندهم، فهي لا تختلف عن طريقة الاحتفال عند المسلمين . أما النصارى فقد شاركوا كذلك سكان المحليين لمدينة تلمسان في الاحتفالات، وللنصارى احتفال خاصة بهم، المعروف باحتفال المسيح عيسى عليه السلام، ويقام هذا عند رأس السنة الميلادية الجديدة وهو يمثل اليوم المقدس عندهم .
- امتداد هذه العادات والتقاليد الى غاية الفترة المعاصرة، بفضل التمسك والحفاظ على الموروث الاجتماعي والثقافي، الذي يعد ذاكرة الثقافة الشعبية للمجتمع التلمساني ومرآة عاكسة له .

الهوامش (الإحالات):

[1] يحي بو عزيز، تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، وزارة الثقافة ، الجزائر ، 2007، ص 05.

[2] الحسن الوزان ، وصف إفريقيا ، تر: محمد حجي محمد أخضر ، ج2 ،ط2 ،1983،دار الغرب الإسلامي ،لبنان ،ص07.

[3] مبارك بن محمد الميلي ، تاريخ الجزائر في القديم والحديث ،ج3 ، مكتبة النهضة الجزائرية ،الجزائر ، ص 47.

[4] عبد الرحمان بالأعرج ، الحياة الثقافية بمدينة تلمسان خلال العهد العثماني ،مجلة قرطاس ،ع2 ،2015، 125.

[5] ربيب الله حاج أحمد ، الشلف الأسفل إبان العصر الوسيط المتأخر والعصر الحديث "بنو زروال بين المغرب الأقصى والأوسط أنموذجا القبيلة المرابطية" ، ط2، دار بن حمدة ، الشلف ، 2022.

[6] وفي أواخر العهد العثماني بلغ تعداد سكانها حوالي ثلاثة ألاف نسمة وهذا التراجع يعود إلى هجرات السكان إلى بلاد المغرب والمشرق بسبب ظلم واضطهاد أهالي المدينة على يد حكام الأتراك. ينظر إلى: مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر1816-1824 ، تعر وتق: إسماعيل العربي ،الشركة الوطنية ،الجزائر .1982 .ص 35.

[7] الحسن الوزان ،المصدر السابق ،ج2،ص ص 19. 20.

[8] تمثل قمة الهرم الاجتماعي وكانت هذه الفئة من أصول وأجناس مختلفة اللسان و العرف وكانت تجمعهم روابط الإسلام والولاء للخلافة العثمانية وأغلبهم ينحدرون من إقليم الأناضول و الروميلي ،كما تعتبر من فئة الحضر للمجتمع التلمساني. ينظر إلى : أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830 ، ج1 ،ط1 ، دار الغرب الإسلامي ،لبنان ،1998،ص 148.154.

[9] الموريسكيون :وهم المسلمون الأندلس الذين هاجروا إلى الجزائر بعد سقوط غرناطة سنة 1492م آخر معاقل المسلمين، لتجنب الظلم وإضطهاد من طرف محاكم التفتيش ،استمرت هجراتهم إلى غاية سنة 1614م، "وهي تمثل فئة الحضر للمجتمع التلمساني . كما لهم الفضل الكبير في بسط صناعاتهم و عاداتهم لقيت الإقبال لدى سكان مدينة تلمسان كونها شبيهة بمدينة غرناطة الإسبانية ". ينظر إلى :أحمد الكامون وآخرون ،التأثير الموريسكي في المغرب ، مركز الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية وجدة ،المغرب ،ص 33. 34.

[10] الكراغلة : تكونت هذه الفئة نتيجة تزاوج أفراد الجيش التركي "الإنكشارية " بنساء البلاد وظهرت لأول مرة في المدن التي تقيم بها الحاميات التركية وهي تلمسان ومعسكر ومستغانم وقلعة بني راشد و مازونة و مليانة وهذا قد ساعد الكراغلة على أن يحتلوا المرتبة الثانية في السلم الاجتماعي لصلتهم بالأتراك وعلاقتهم الخاصة بالأهالي ،فأصبحوا بعد فترة قصيرة من الوجود التركي بالجزائر يؤلفون طبقة وسطى ميسورة الحال تمارس التجارة وتشتغل بالمهن وتستثمر الملكيات الزراعية بالفحوص وفي بعض الأحيان تقوم بوظائف إدارية متوسطة الأهمية ." وهي تمثل فئة الحضر للمجتمع التلمساني ". ينظر إلى :ناصر الدين سعيدوني والمهدي بوعبدلي ، المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر، 1984. ص ص 97.94.

[11] الأعلاج :هم فئة مسيحية من أوروبا اعتنقوا الإسلام والتحقوا بالجيش البحري للإيالة الجزائرية ومنهم من تولوا الجانب الطبي ،عرفت الجزائر خلال القرن 16م توافد عدد كبير أمثالهم حسن قورصو ومراد قورصو الذين ينحدرون من جزيرة كورسيكا الإيطالية. "وهي تمثل هذه فئة الحضر للمجتمع التلمساني " . ينظر إلى :عائشة غطاس ،الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700-1830 مقاربة اجتماعية – اقتصادية ،أطروحة دكتوراه في تاريخ الحديث ، كلية العلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2000 .2001.

[12] أبو القاسم سعد الله ،المرجع السابق ،ص 148.

[13] يعود أصل كلمة تلمسان إلى كلمة بربرية صيغة الجمع بالبربرية لكلمة تلمسي التي تعني المكان الذي يستقر فيه الماء وذكر المعلقون في الترجمة الفرنسية أن تلمسان كانت تدعى أيام الرومان (بومريا) أي الحدائق، إذ يقول أحمد توفيق المدني في كتابه المسمى **بالكتاب الجزائر** أن أصل الكلمة قريتان أغادير التي أسسها المولى إدريس الأكبر وتاغرارت التي أسسها ملك مراكش يوسف بن أبي تاشفين ثم انضمت القريتان فأصبحت تلمسان. ينظر الى : الحسن الوزان ، المصدر السابق ،ج2،ص 08. أحمد توفيق المدني ،الكتاب الجزائر ،الشركة الوطنية لنشر والتوزيع، الجزائر ،1985 ،ص ص 201 .205.

[14] حمدان بن عثمان خوجة، المرآة ،تق وتع وتح: محمد العربي الزبيري، المؤسسة الوطنية للفنون ،الجزائر،2006 ، ص 55.

[15] لغريس سوهيلة، الأعياد الدينية الإسلامية: المفهوم والأهمية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلة الحضارة الإسلامية، ع 26،الجزائر، 2015 ،ص 379.

[16] قويسم محمد ، الاحتفالات بالمولد النبوي الشريف في منطقة تلمسان خلال العهد الزياني ،مجلة الحوار المتوسطي ،ع 15 ، 2017، الجزائر ،ص 515.

[17] محمد برمضان الشاوش ،باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بنو زيان ،ديوان مطبوعات الجامعية ،ج2 ،ص ص 373. 387.

[18] أحمد مريوش ،الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني ،منشورات المركز الوطني لدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م الجزائر ،2007 ، ص ص 226.225.

[19] الحسن الوزان ، المصدر السابق ، ج1، ص 260.

[20] أحمد بن سحنون الراشدي. الثغر الجماني في إبتسام الثغر الوهراني ، تح :المهدي بوعبدلي، ج1، عالم المعرفة ، الجزائر، 2013.

[21] سورة البقرة، أية رقم 184.

[22] أبو العباس أحمد بن يحي الونشريسي ،المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل افريقية والأندلس والمغرب ،ج1 ، وزارة الشؤون الإسلامية لمملكة المغربية ،المغرب،1981 ،ص412.

[23] فندلين شلوصر ،قسنطينة أيام احمد باي ،تر: أبو العيد دودو ،الشركة الوطنية، الجزائر، ص 85.

[24] أبو العبيد دودو ،الجزائر في عيون الرحالة الألمان(1830-1855) ، الشرطة الوطنية لنشر والتوزيع ،الجزائر ، ص ص 68.67.

[25] فوزي سعد الله ،الشتات الأندلسي في الجزائر والعالم ،ج2، قرطبة لنشر والتوزيع ،الجزائر ص 402.

[26] محمد جفيق ،أجمل ثماني عادات رمضانية ،موقع مدونات الجزيرة 17.45.23. algeria .blogs 17 oct 2021.

[27] إبن حمادوش عبد الرزاق ،رحلة بن حمادوش الجزائري المسماة "لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال ،تح: ابو القاسم سعد الله ،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ،الجزائر ،1983 ،ص 125.

[28] إبن حمادوش عبد الرزاق ، المصدر السابق ، ص 125.

[29] Haedo Fray (Diego) , topographie et histoire générale d'Alger (la vie à Alger au seizième siècle, traduction de l'espagnolet notes de A.Berbrugger et Dr.Monnereau, présentation de Abderrahmane Rebahi, 3ed Grand-Alger-livre, Alger, 2007 , p 212.

[30] عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ج1، موفم لنشر ، الجزائر ، 2002، ص ص 286. 287.

[31] يحي بن خلدون ، بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد ، بيير فونطانا الشرقية ،الجزائر ،1903م ،ص 550.

[32] Show (th) voyage dans la régence d'Alger; ou description ,Géographie ,physique ,philologique, etc. de 10cet Etat, Traduit de l'anglais, avec de nombreuses augmentations, de notes géographiques et autres par J. Mac Carthy, éditeur MARLIN, Paris, 1830.p78.

[33] أبو العبيد دودو ،المرجع السابق ،ص 70

[34] رشيد عباس، النظام الغذائي من المغرب الإسلامي إلى القرن 16 م، أطروحة دكتوراه في التاريخ المغرب الإسلامي كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم العلوم الإنسانية، جامعة الجلالي يابس، سيدي بلعباس، 2021، ص 30.

[35] محمد بوشنافي، النظام الغذائي في الجزائر خلال العهد العثماني (1520م-1830م)، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية،ع11، 2020، الجزائر ،ص 75.

[36] فوزي سعد الله ،المرجع السابق ،ص 402.

[37] محمد بن رمضان الشاوش،المرجع السابق ،ص ص 378.377.

[38] -ج.أو.هابنسترايت ،رحلة العالم الألماني ج.أو.هابنسترايت الى الجزائر وتونس وطرابلس ،تح وتق وتع نصر الدين سعيدوني ،دار الغرب الإسلامي ،لبنان .،ص 79.

[39] Arsène Breteuil , Algérie froncaise histoire moer, coutumes ,industrie tomel paris ,1856.p369.

[40] عبد الرحمان بالأعرج، المرجع السابق، ص125.

[41] محمد بن رمضان والشاوش ،المرجع السابق ،ص 358.

[42] محمد بن عبد الوهاب المكناسي، رحلة المكناسي " إحراز المعالي والرقيب في حج بيت الله الحرام وزيارة القدس الشريف والخليل والتبرك بقبر الحبيب "، تح: محمد بو كبوط ، ط1 ، 2003، دار السويدي لنشر والتوزيع ، الإمارات العربية المتحدة ، ص 331.

[43] بسام كمال وعبد الرزاق شقدان ،المرجع السابق،ص 161.

[44] لقد زارها الرحالة الفاسي الحسن الوزان ووصف لنا إحدى منطقها تسمى "بتفسرة" على أنها مدينة صغيرة في سهل على بعد نحو خمسة عشر ميلا من تلمسان والأراضي المجاورة لها جيدة لزراعة القمح وأهل تفسرة قليلو المجاملة ،إذ لا يشتغلون بغير خدمة الحديد ونقله إلى تلمسان .ينظر إلى كتاب وصف إفريقيا،حسن الوزان ،ج2 ، المصدر السابق ،ص 24. وقال بن خلدون عن أصل سكانها أنهم من قبيلة كومة ينظر إلى بن خلدون ،المقدمة ،ج7، المصدر السابق ،ص 234 .وقد ذكر مرمول كربخال الراهب الإسباني أنها غنية بالأشجار المثمرة كشجرة

الزيتون والجوز و كثرة الأنهار ينظر إلى كتب إفريقيا ،لمرمول كربخال، تر : محمد حجي ومحمد أخضر، ج2 ، نشر المعرفة ، المغرب ،1989، ص 299.

[45] راشدي بن يمينة ،رأس السنة الجديدة في بني سنوس ،عادات والتقاليد ،مجلة الأنثروبولوجيا ، مج4، ع7 ، 2018 ،الجزائر ، ص ص 101.94.

[46] نفسه ، ص ص 101-94.

[47] ايدموند ديستان ،بني السنوس في النصف الأول من القرن 20م ،تق: محمد حمداوي ،مؤسسة الوطنية للفنون ،الجزائر ،2011، ص ص 66.64.

[48] محمد عليو ،الحياة الاقتصادية والاجتماعية في منطقة معسكر خلال القرن 18م وبداية القرن 19م ،رسالة ماجيستر، كلية الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم التاريخ ، جامعة أحمد بن بلة،2010، ص 128.

[49] لبلق أسماء ،التحولات الثقافية والرمزية لمراسيم الزواج في الأسرة التلمسانية ،رسالة ماجيستر في علم الاجتماع الثقافي ، كلية العلوم الاجتماعية ، جامعة وهران 2 ،2015، ص 46.

[50] مختار الحساني، تاريخ الدولة الزيانية الأوضاع الاجتماعية ،ج3 ،منشورات الحضارة ،الجزائر ، ص ص201.199.

[51] سورة النساء، الآية 4.

[52] الحسن الوزان ، المصدر السابق ،ص 254.

[53] الحسن الوزان ، المصدر السابق ،ص 256.

[54] الحسن الوزان ، المصدر السابق ،ص 256.

[55] الحسن الوزان ، المصدر السابق ،ص 256.

[56] الحسن الوزان ، المصدر السابق ،ص 256.

[57] الحسن الوزان ، المصدر السابق ،ص 257.

[58] الحسن الوزان، المصدر السابق ،ص 257.

[59] George MARCAIS ,costume musulman d'Alger, librairie Lio,. Paris.p 36.

[60] Venture di paradis Venture De Paradis (J.M), Alger au XVIIIe siècle (1788-1790), mémoires, notes et observations d'un diplomate espion, présentation et notes par Abderrahmane Rebahi, Grand-Alger-Livre, Alger, 2006 ,p p 36.37.

[61] George MARCAIS ,op, cit , p 36.

[62] وليام شالر، المصدر السابق ، ص83.

[63] Lombay, g de , En Algérie Oran_ Tlemcen, Pari, Ernest Leroux 1893,p38.

[64] الموسيقى الأندلسية أو موسيقى الحضر : تعتبر الموسيقى الحضرية أكثر تنوعا وتنغما من موسيقى البدو ،حسب الذين درسوها ذلك أن معظم أنغامها حية، وهي أيضا تعزف بعدد من الآلات يفوق عدد آلات النوعيين الآخرين ،ومن جهة أخرى كان العزف يتم من ذاكرة وليس من نوتة يتعلمها العازفون، كما أنها قد بلغت من التعدد والتنوع إلى أن أصبحت لها الفرق الضخمة البالغة العشرين أو الثلاثين عازفا وكان العزف يطول ولكن السامعين يظلون طول الليل يستمعون دون أن تحدث خلال ذلك ضجة أو هرج، ويعود تاريخ ظهور هذه الموسيقى بمدينة تلمسان إلى وجود الأندلسيين بهذه المدينة بعد سقوط غرناطة سنة 1492م وبفضلهم تأسست مدرسة موسيقية تدعى المدرسة الغرناطية المعروفة بالطرب الغرناطي وهو نوع من الموسيقى الأندلسية يعتمد على مفهوم النوبة وعلى جملة من المصطلحات، فيها أنماط الموسيقى الأندلسية المغربية عموما ، ويبلغ الرصيد 12 نوبة كاملة (أي تتضمن المراحل الإيقاعية كلها) كما كانت هناك نوبات أخرى تستعمل إيقاعات خاصة تسمى انقلابات، والنوبة نوع من التأليف الموسيقى يتناوب فيه الأداء الغنائي والأداء الآلي وتتألف من سلسلة من الأحان المتتابعة، بعضها مقرونة بأقاويل شعرية وبعضها إلي بحث، انتقل الطرب الغرناطي إلى مدنية تلمسان بعد سقوط غرناطة سنة 1492م كما توافد العديد من الشعراء والموسيقيين الغرناطيين إلى مدينة تلمسان كما كان لشعر عندهم أغراض متعددة منها المديح والغزل وحتى الرثاء فسميت الموسيقى الأندلسية بتلمسان بالغرناطي، ومن أبرز شعراء تلمسان الذين كانوا يتغنون بشعرهم الملحون في تلمسان نجد الشيخ زناقي وابن مسايب وابن التريكي. ينظر إلى : كمال بن سنوسي، الطرب الغرناطي بمدينة تلمسان الشيخ العربي بن صاري أنموذجا ، موفم لنشر والتوزيع ،تلمسان ،ص ص 40. 48. وص84.

[65] أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق ، ج2، ص 440. 444.

[66] وليام سبنسير، الجزائر خلال عهد رياس البحر ، تع: عبد القادر زيادية ، دار القصبة ،الجزائر ، 2006م، ص 118.

[67] نفسه، ص 118.

[68] عبد الرزاق بن حمادوش ، المصدر السابق ، ص ص 238. 274.

[69] أحمد مريوش ، المرجع السابق ،ص 227.

[70] الحسن الوزان، المصدر السابق ،ص 285.

[71] ناصر الدين سعيدوني ، الحياة الريفية بإقليم مدينة الجزائر(دار السلطان) ،دار البصائر لنشر والتوزيع ،المغرب ، ص 363.

[72] أحمد مريوش، المرجع السابق ، ص ص 44 .45.

[73] أبو القاسم سعد الله ،المرجع السابق، ج1، ص 468.

[74] عيسى بن محمد البطوئي ، مطلب الفوز والفلاح في آداب طريق أهل الفضل والفلاح ، تح: حسين الفكيكي، ط1 ، 2000، إصدارات مركز طارق بن زياد للدراسات والأبحاث، المغرب، ص ص 150. 151.

[75] الحسين بن محمد الورثيلاني ، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار ، تح: محمد بن ابي شنب ، مطبعة بير فونتانا، الجزائر، 1908، ص 21.

[76] قدور منصورية ، ندرومة دراسة تاريخية وحضارية بين القرون السابع والعاشر الهجرية 633هـ-1236م/962هـ-1554م ، رسالة ماجيستر في تاريخ المغرب الإسلامي ،كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية ،قسم التاريخ وعلم الآثار ، جامعة أبو بكر بلقايد، 2012 ،ص 54.

[77] مؤلف مجهول (عاش ق6هـ /12م) ،كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار ،تح: سعد زغلول عبد الحميد ،دار الشؤون الثقافة العامة، العراق ،1981م ،ص 135.

[78] بورحلة حكيم ، وعدة سيدي أحمد المجذوب ببلدية عسلة ولاية النعامة نموذجا ،رسالة ماجستير في علم الاجتماع الثقافي، كلية العلوم الاجتماعية قسم علم الاجتماع ،جامعة وهران،2015.2016،ص 43.

[79] ابن منظور ، لسان العرب ،ط3،دار صادر ،لبنان،1414هـ ،ص 477.

[80] عائشة غطاس ، المرجع السابق ،ص ص 174. 177.

[81] الحاج الجيلالي بن عبد الحكم ،المرآة الجلية في ضبط ما تفرق من أولاد سيدي يحي بن صفية وفي التعريف بمشاهير العلماء ورجال المعاهد الصوفية ،ط2 ،صوني بيدبياف ، ص28.27

[82] بوكرابيلة محمد ، النبراس بعد بني وطاس في تلمسان دقات وأجراس " دراسة تاريخية سوسيوثقافية " ، موفم لنشر، الجزائر ، 2015، ص 87.

[83] هاينريش فون مالتسان ، ثلاث سنوات في غربي شمال إفريقيا ،ج1 ج2 ج3 ،مج 3 ،دار الأمة ،الجزائر،2009 ،ص 212.

[84] وليام سبنسير ،المرجع السابق ،ص 115.

[85] حربة شريد ، تطور المطبخ المغربي وتجهيزاته من عصر المرابطين إلى نهاية العصر العثماني "دراسة تاريخية وأثرية "، أطروحة دكتوراه في الآثار الإسلامية ،معهد التاريخ ،جامعة الجزائر 2 ، ص ص 84.80.

[86] عبد القادر غطيس ، ظاهرة الوعدة الشعبية في الجزائر :بين الاعتقاد والممارسة ،مجلة الثقافة الشعبية ،ع17، 2012 ،البحرين، ص ص 117.112.

[87] الحسن الوزان ، المصدر السابق ،ص 258 .259.

[88] جيمس ويلس ستيفن ،أسرى أمريكان 1785م-1797 ،تر: علي تابليت ، ثالة ،الجزائر ،2007 ، ،ص158.